طفولة قاسية

obeikandl.com

obeikandl.com

ولدت زينب خليل إبراهيم محفوظ، وهو اسمها الحقيقي في إحدى قرى مركز الواسطى بمديرية بني سويف يوم ٢٢ فبراير عام ١٩٢٤، وعاشت هناك ثمانية أيام مع والدها ووالدتها وزوجة أبيها وأخواتها الأشقاء وغير الأشقاء قبل أن يقرر الأب النزوح بعائلته الكبيرة للقاهرة.

واستأجر الأب مسكناً في حي الأزهر والذي يعتبر المكان المفضل لكافة الوافدين من الأرياف، ولكنه القدر، فلم تسعد الأسرة بالقاهرة ولا بمرافقة الإمام الحسين، حيث توفت والدتها وهي في سن الثامنة من عمرها.

وبدأت معاناة زينب الحقيقية بعد وفاة والدتها وزواج شقيقتها الكبرى فاطمة، حيث عاملتها زوجة أبيها بقسوة وحولتها من ابنة صاحب البيت إلى مجرد خادمة تؤدي أعمال البيت من مسح وتنظيف وشراء المتطلبات من السوق، لتزيد المعاملة سوءً عقب وفاة والدها، حيث أصبحت الزوجة الجديدة هي المالكة لكل شيء وتعامل زينب لا كطفلة يتيمة وابنة زوجها التي لها ارث ونصيب في المنزل ولكن كخادمة تعمل من أجل قوتها فقط، لتقرر زينب الهرب من المنزل.

وانتقلت زينب إلى بيت شقيقتها فاطمة النبوية في السيدة زينب لتعيش معها ومع أبنائها وزوجها الذي كان يعمل موظفاً بسيطاً، وكان عمرها وقتها لا يتعدى ١٣ عاماً، ولكنها اكتشفت بعد انتهاء فترة الضيافة أن الوضع في بيت شقيقتها لا يختلف كثيراً عن الوضع في بيت زوجة أبيها، فهي في البيتين لا تزيد عن كونها خادمة تشتري مستلزمات البيت من السوق وتقوم بأعمال

النظافة وطهي الأكل وترتيب الغرف، وزاد الأمر سوءً عندما قررت شقيقتها أن تجعلها تعمل لتشارك في مصاريف المنزل.

وتحوّلت زينب، تلك الفتاة الصغيرة إلى عامله في "مشغل" لحياكة وتطريز الملابس نهاراً، وإلى خادمة في منزل شقيقتها بعد انتهاء مواعيد العمل، وتحملت زينب كل ذلك حتى لا تعود مرة أخرى لزوجة أبيها.

وعرفت زينب طريق السينما، وبدأت تستمتع بمشاهدة الأفلام، وجذبتها الأضواء فكانت كثيرة الذهاب لدور العرض تشاهد الأفلام، إلى أن كان ذلك اليوم الذي عادت فيه متأخرة ليقوم زوج شقيقتها بإعطائها "علقة ساخنة"، وتقرر زينب الهرب مرة أخرى.

وتعرفت زينب عن طريق صديقتها التي تعمل معها في "المشغل" على أحد الشباب الذي كان يرتاد صالات ومسارح شارع عماد الدين، والذي اتفقت معه على أن يصطحبها إلى هناك لتبتعد عن شقيقتها وزوج شقيقتها للأبد لتبدأ مرحلة جديدة في حياتها.